بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال الكلبي ومقاتل نزل الله سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا
منها ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم
انما سحر اعينكم فمن اراد الله به خيرا ثبته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امراة فمكثوا
ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ قوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى بن
مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي
قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السما بدليل ان حرف اذ للماضي وقال سائر المفسرين انما يقول الله هذا
القول يوم القيمة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيمة **واجيب** عن حرف اذ بانها قد تجي
بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقال ابو النجم ثم جزاك الله عني اذ جزى جنات عدن في السموات العلى
ولفظ الاية في قوله ءانت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى عليه
السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقله **فان قلت** اذا كان عيسى عليه السلام
لم يقل هذه المقالة فما وجه هذا السؤال له مع علم الله تعالى بانه لم يقله **قلت** وجه هذا السؤال
تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم في ادعايهم ذلك عليه وان كفرهم به فهو كما يقول القايل لاخر افعلت كذا
وهو يعلم انه لم يفعله وانما اراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما امرتني
به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما يزعمون وادعت فيه النصارى **فان
قلت** ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذوني وامي الهين من دون الله **قلت**
ان النصارى لما ادعت في عيسى انه اله وان امه ولدته لزمهم هذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن
عيسى عليه السلام قال سبحانك يعني تنزيها لك عن النقايص وبراءة لك من العيوب قال ابو روق اذا سمع
عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله
وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم فقال مجيبا لله تعالى سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
اي كيف اقول هذا الكلام ولست باهل ولست استحق العبادة حتى ادعو الناس اليها ولما بين انه ليس له
ان يقول هذه وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان هل وقع ذلك منه ام لا فقال
ان كنت قلته فقد علمته اسند العلم الى الله تعالى وهذا مراعاة الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى
وتفويض الامر الى علمه ثم قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك يعني تعلم ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس
تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل
ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشي يقال نفس الشي وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس
عبارة عن جملة الشي وحقيقته تقول تعلم جميع ما اعلم من حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه
تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وانما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام
ثم قال انك انت علام الغيوب يعني تعلم ما كان وما سيكون وهذا تاكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم
ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب قوله تعالى اخبارا عن عيسى ما قلت لهم الا ما امرتني
به يعني ما قلت لهم الا قولا امرتني به ان اعبدوا الله يعني قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم يعني وحدوه
ولا تشركوا به شيا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم يعني وكنت اشهد ما يفعلون وحضرهم ما دمت مقيما فيهم
فلما توفيتني يعني فلما رفعتني الى السما فالمراد به وفاة الرفع لا الموت كنت انت الرقيب عليهم يعني الحفيظ
عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شي وانت على كل شي شهيد يعني انت

شهدت مقالتي

مقالتي التي قلتها لهم وانت الشهيد عليهم بعد ما رفعتني اليك لا تخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيد هنا بمعنى
الشاهد لما كان وما يكون ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني انت العالم بكل شي فلا يعزب عن علمه شي
قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام ان تعذبهم يعني ان تعذب هولاء الذين قالوا هذه المقالة بان تميتهم
على كفرهم فانهم عبادك لا يقدرون على دفع ضرك عنهم ولا جلب نفع لانفسهم وانت العادل فيهم لانك اوضحت
لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا وان تغفر لهم يعني لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك
بفضلك ورحمتك فانك انت العزيز يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده الحكيم
في افعالك كلها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سوال الله عز وجل لعيسى عليه السلام
حين رفعه الى السما قبل يوم القيمة واما على قول جمهور المفسرين ان هذا السوال انما يقع يوم القيامة ففي قوله
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه
ان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس هذا على طريق
طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتفويضه الى مراده
فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته ان يغفر للكفار لكنه تعالى اخبر
انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم
الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله
لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله تبين لعيسى ان النصارى حكت عنه الكذب لانه
لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان ينال لهم المغفرة والله اعلم بمراده في اسرار كتابه عن عبد الله بن عمرو بن
العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني
الاية وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي
امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فاخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا
نسوءك وعن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اخرجه النسائي قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم جمهور العلما على
ان المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الاخرة لانه يوم الاثابة والجزا ولما
تقدم من صدقهم في الدنيا تبين نفعه يوم القيمة والمراد بالصادقين النبيين والمومنين لان الكفار لا ينفعهم
صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان تخطبان يوم القيامة عيسى عليه السلام فانه يقوم فيقول ما قص
الله عنه ما قلت لهم الا ما امرتني به الاية فكان صادقا في الدنيا والاخرة فنفعه صدقه واما المتكلم الاخر
فابليس فانه يقوم فيقول وقال لما قضي الامر الاية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطا هذا يوم
من ايام الدنيا لان الاخرة دار جزا لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الاية من ان الصدق النافع انما يكون
في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين
رفع الى السما والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال تعالى لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدايم الذي لا انقطاع له ولا انتها
رضي الله عنهم يعني بطاعتهم له ورضوا عنه يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته ذلك اشارة الى ما ذكره
من ثوابهم الفوز العظيم يعني انهم فازوا بالجنة وبرضوانه عنهم ونجوا من النار لله ملك السموات والارض وما فيهن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1